

تاريخ الأزمنة

المؤلف: البطريك إسطفان الدويهي

المرجع: الجميل، الخوري ناصر، البطريك إسطفان الدويهي: حياته ومؤلفاته، بيروت، 1991، ص 61-66

يعتبر كتاب "تاريخ الأزمنة" من أهم مؤلفات الدويهي التاريخية، وهو مرجع أساسي لتاريخ الشرق الأدنى في عهود العرب والصليبيين والمماليك والعثمانيين. شرع بجمع موادّه منذ كان كاهنًا، وهو يتضمّن، بصورة متنوّعة الأحداث السياسيّة والكنسيّة منذ بدء الإسلام حتّى عام 1699. جمعها وصنّفها بشكل حوليات وفقًا لتسلسل السنوات. بالنسبة إلى المرحلة القديمة من التاريخ اللبناني، يستند الدويهي إلى مؤلفات جبرائيل ابن القلاعي وإلى مصادر أخرى، يغلب الشكل على مضمونها. أمّا المهمّ في هذا المؤلّف فهو المعطيات التاريخيّة عن البطارقة والأساقفة والكتّاب والأديار والعلاقات مع الغرب. وقد أضاف إلى كلّ ذلك مستندات بالغة الأهمية.

لم يحاول الدويهي في هذا الكتاب أن يفسّر الأحداث أو يحلّلها أو يدافع أو يناقش، كما فعل في مؤلفاته التاريخيّة الأخرى؛ إنّما أراد أن يسرد الأحداث الزمنيّة والدينيّة سردًا واقعيًا تدريجيًا سنة بعد سنة. لذلك فإنّ تاريخه للمنطقة المجاورة لم يقدّم أشياء جديدة كثيرة، لأنّه استند إلى المؤرّخين الذين سبقوه أو إلى معاصريه. ولكن تبدو أهمية الدويهي في كونه أضاف على ما كتبه سائر المؤرّخين أحداث التاريخ اللبناني والمارونيّ. ويذكر في هذا المجال أنّ العنوان – تاريخ الأزمنة – ليس من وضع الدويهي، بل هو ترجمة لكلمة "كرونيكون" المتعارف عليها. وأنّ ابن العبري له كتاب على هذا النحو ترجم بعنوان "تاريخ الزمان"، أعادت نشره "دار المشرق" عام 1986.

والدويهي هو أوّل مؤرخ لبناني عني بتاريخ لبنان، بكامله، المواردنة والدروز، الشمال والجبل والجنوب والساحل، وخاصةً بالتاريخ المدنيّ. إلّا أنّه لم يسترسل في تفسير علائق المقاطعات الواحدة بالأخرى أو غير ذلك من الموضوعات التي تهّم المؤرّخ المعاصر.

لكتاب "تاريخ الأزمنة" نصّان. الأوّل يبدأ بتاريخ الأحداث اعتبارًا من بدء الحملات الصليبيّة عام 1095 لغاية 1699، سمّاه الدويهي "تاريخ المسيحيّين". نشره فردينان توتل اليسوعيّ لمناسبة مرور 75 سنة على تأسيس جامعة القديس يوسف في بيروت سنة 1950، واعتمد في طبعته على مخطوط فاتيكاني عربي 683، وفاتيكان سرياني 394، ومخطوط محفوظ في المكتبة الشرقيّة رقم 1496. (راجع "المشرق" 43 (1949) 14-26)

الثاني يبدأ سنة 622 أي تاريخ ظهور الإسلام، لغاية سنة 1686، وقد دعاه الدويهي "تاريخ المسلمين". نشره الأبّاتي بطرس فهد سنة 1976 معتمدًا على مخطوط فاتيكاني سرياني 215، وهو أهمّ النسخ لهذا الكتاب لأنّه منقول عن المسوّدّة المحفوظة في مكتبة بكركي رقم 137.

لم تنشر بعد طبعة علميّة كاملة لهذا الكتاب. مع العلم أنّ رشيد الشرتوني كان قد نشر أقسامًا منه في كتابه "تاريخ الطائفة المارونيّة" سنة 1890. ولقد حاول كلّ من بولس مسعد الراهب الحلبيّ (المريميّ) ونسيب وهيبه الخازن وبولس قرآلي نشر النصّ الأصليّ "لتاريخ الأزمنة"، مقرونًا بترجمة فرنسيّة ومشروحًا بإسهاب في الحواشي، فلم يتمكّنوا إلّا من طبع أربع ملازم نشرت في "المجلّة البطريكيّة" 13، في الجزء الأوّل، ثمّ توقّف العمل.

وأخيرًا نشر بالفرنسيّة الأبّ يواكيم مبارك في "خماسيّة أنطاكية/ أبعاد مارونيّة"، الجزء الأوّل، المجلّد الثاني، سنة 1984، بعض منتخبات "لتاريخ الأزمنة"، ص 1059 – 1090.

إنّ الأبّ إبراهيم حرفوش أخذ سيرة حياة سركيس محاسب رئيس دير مار شليطا – مقبس من هذا المؤلّف ونشرها في مجلّة "المشرق" 5 (1902) 686-696. أمّا الأبّ بولس صفيّر في الصفحات 3-21 من كتابه، Les ermites dans l'Eglise Maronite, Kaslik, Liban, 1986، فإنّه يستعرض النسخ المتعدّدة لكتاب "تاريخ الأزمنة" ويقارن بعضها ببعض الآخر ويدرسها دراسة نقدية.

المراجع:

نشر قسمًا كبيرًا منه رشيد الشرتوني وعلق عليه في "ملحق" كتابه "تاريخ الطائفة المارونية" ص 97-291 (بين الجزئين: الأوّل "في نسبة المواردنة" والثاني في "ردّ التهم ودفع الشبه").

أ- مخطوطات

1. فاتيكاني سرياني 215: وهو نسخة "لتاريخ الأزمنة" اعتمد عليها الأبّاتي بطرس فهد باعتبارها النسخة الأولى المنقولة عن المسوّدّة المحفوظة في مكتبة بكركي. فهي بخطّ المؤلّف نفسه. أرسلها إلى بطرس مبارك في روما، على أمل أن يطبعها مجمع انتشار الإيمان، سنة 1685. طولها 34×24. مؤلّفة من 158 ورقة. ولقد ذكر بولس مسعد ونسيب وهيبه الخازن، الأصول التاريخيّة المجلّد الثالث، 1958، ص 64-141، الفوارق التي وجدها بين الكتاب المطبوع وبين هذه المخطوطة المليئة بالأخطاء في أوّلها وغير كاملة في قسمها الأخير. راجع الأبّ بولس صفيّر، المرجع نفسه.
2. فاتيكاني عربيّ 683: كانت هذه النسخة ملكًا ليوסף شمعون السمعانيّ قدّمها له المطران سمعان عوّد الحصريّ. طول هذا المخطوط 34×28، عدد أوراقه 120، مجلّد رقّ غزال، حالته جيّدة وهو بالكروشوني. نسخها الشدياق يوسف بن حبقوق من بلدة بشعلة في 9 نيسان 1710. يبدأ المخطوط بسرد الأحداث من سنة 1095 وينتهي في سنة 1699. وهي النسخة التي اعتمد عليها فردينان توتل اليسوعيّ في طبعته "لتاريخ الأزمنة" سنة 1950. راجع "الأصول التاريخيّة" ص 60-62 والأبّ بولس صفيّر، المرجع نفسه.
3. فاتيكاني سرياني 394: عدد ورقاتها 139. نسخها الخوري ميخائيل الدويهيّ. طولها 31×22. تعود إلى القرن الثامن عشر. بكركي 136: "تاريخ المسلمين"، مخطوط عربيّ نسخه الخوري بولس برهوش من بلدة ساحل علما في 15/6/1854. 349 ورقة.

4. بكركي 137: "تاريخ المسلمين" بخط إسطفان الدويهي. 204 ورقات. راجع الأب صغير، المرجع المذكور، ص 10-12.
5. عشقوت 44: راجع "المشرق" 21 (1923) 276-277، 25 (1927) 920. نسخها سنة 1674 ميخائيل المطوشي خوري كبريات في جهات قبرس. 240 ورقة تعالج الفترة الممتدة من 622-1675.
6. لينينغراد شرقي 94 Petersbourg : أنظر: في "المشرق" 23 (1925) 679 رقم 361. I. Krackovskij
 أ - راجع أيضاً: 1-12 (1926) Orientalia 1 -
 ب - كما ذكر في: 163 [1928-29] Orient. Christ. 25/26 -
 ت - وفي: 215 [1931] Islamica 4 -
7. بيروت، المكتبة الشرقية، 1496، راجع "المشرق" 18 (1920) 158-159. يعود تاريخ هذه النسخة التي تحمل الرقم 1496، إلى سنة 1797، كتبت على يد الخوري الياس سركيس من عبيه للفترة 1094-1699. كانت ملكاً ليوسف صغير وهي التي استند إليها فردينان توتل في طبعه كتابه.
8. مكتبة المرسلين اللبنانيين، فيها نسختان "التاريخ الأزمنة":
 أ - الأولى وعنوانها "تاريخ المسلمين"، ترجع إلى أيام المؤلف نفسه، كما يُستدلّ من القرائن الداخلية للمخطوطة. يليها سلسلة البطارقة الذين خلفوا الدويهي حتى البطريرك يوسف الثاني سنة 1796 مع نبذة قصيرة عن حياتهم. وذلك بخط متأخر يختلف عن خط الناسخ. مصدر النسخة دير مار سركيس ريفون.
 ب - والنسخة الثانية تُقسم إلى قسمين: "تاريخ المسلمين"، و"تاريخ المسيحيين". الناسخ هو الخوري الياس سركيس من قرية عبيه سنة 1788. للمزيد من التفاصيل: راجع، الأب إغناطيوس سعادة، "مؤلفات علماء المدرسة المارونية المحفوظة في مكتبة جمعية المرسلين اللبنانيين"، في "دراسات" 12 عدد 17/16، 1985، ص 191-215. المرجع هنا ص 197-198.
 أنّ الأسقف جرجس بن حبقوق البشعلاني من العاقورة أضاف بخط يده إلى هذا المخطوط معلومات حياتية وتاريخية عن البطريرك يوحنا مخلوف (1609-1633) والبطريرك عميرة (1633-1644) وغيرهم من المعاصرين آنذاك. وقد نشر كلّ ذلك الأب إبراهيم حرفوش في "المشرق" 5 (1902) 688-691. راجع: D.T.C.X. 65-67
 نشر الأب حرفوش في "المشرق" 1902 ص 688-697، بالإضافة إلى ما كتبه المطران جرجس حبقوق، سيرة الدويهي التي وضعها في أول المخطوط أحد معاصريه الذي لم تعرف اسمه.
9. سباط، الفهرس، 1430 وهذا المخطوط لورثة ميخائيل عديني.
10. دمشق، المكتبة الظاهرية، رقم 4741 في قبرس سنة 1776 على يد لويس بن يوسف الفرنجي من سنة 622-1675.
11. مخطوط آخر كتبه الخوري الياس سركيس من عبيه (622-1703). كان ملكاً للقسّ برنردوس غيرة الأنطوني سنة 1915. لا أثر له الآن.
12. مخطوط نسخه الخوري مارون الأشقر من بيت شباب. (622-1699). كان ملكاً لإغناطيوس طنوس الخوري من كفرسخنا، الراهب اللبناني، اعتمده رشيد الشرتوني في طبعته. يعود تاريخ نسخه إلى سنة 1881.
13. مكتبة الأشقر الخاصة - ديك المحدي: مخطوط عنوانه "تاريخ المسلمين" - بالكرشوني. نسخه الشدياق أنطون ابن الخوري مارون الأشقر المار ذكره. وكان قبلاً في مكتبة الخوري بطرس غالب - بيت شباب. يعود تاريخ نسخه إلى 5 كانون الأول 1887. وهو وقف مخدّ لدير مار ميخائيل بحرصاف.
14. نسخ الشيخ طنوس ابن يوسف الشدياق، المتوفى سنة 1861، مقتطفات من "تاريخ الأزمنة" للدويهي: وهي موجودة في بيروت، المكتبة الشرقية، رقم 36. وموجودة أيضاً كما يذكر توتل في:
 أ - بيروت، الجامعة الأميركية، S55 M.A. 956.9 ،
 ب - ميونخ عربي 426، نسخه طنوس بن الشدياق الماروني اللبناني (بدون تاريخ).
 ت - وكانت توجد نسخة رابعة في عين طورين مسقط رأس الشيخ طنوس عند عائلة الناسخ فهد خطّار العينطوريني.
 ث - بيروت، المكتبة الوطنية، 43-956. ناقص في أوله ونهايته. يشبه فاتيكاز عربي 683.
 ج - جبيل، مكتبة دير سيّدة المعونات، 19 كتاب "تاريخ المسلمين" نسخه الخوري إبراهيم ابن الخوري رزق مبارك من جعيتا، في 11-6-1776، ص 415 بالكرشوني.
 ح - جبيل، مكتبة دير سيّدة المعونات، 11: كتاب "تاريخ المسلمين" اعتنى بنسخه ومشتراه الراهب يواصاف الجاجي المدبر اللبناني سنة 1884. 214 صفحة. كرشوني.
 خ - هناك نسخة اطلّع عليها رشيد الشرتوني عند الخوري إسطفان شديد من بشعلة. قد تكون الآن عند ورثة الكاهن المذكور .
 د - نسخة الآباء اللعازاريين في بيروت. تعالج الفترة 622-1699. نسخها منصور بن يوحنا الحكيم من قرية غوسطا، في 31/6/1884. كرشوني.